

أسماء الشخصيات في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل

دراسة لغوية تحليلية

أ.م.د. باسل خلف حمود *

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٢/٣

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/٣/٩

المستخلص:

ويعدّ التفاتة لغوية دلالية تبرز جمالية اختيار وانتقاء أعلام الشخصيات الواردة في الرواية ومع أن الشخصية هي إحدى مقومات العمل الروائي فإن دراسة جزء منها يشي ببراء هذه الدراسات ، وهذا البحث يمثل إطلالة على العمل الروائي من نافذة لغوية دلالية بما يسمح بالكشف عن الإمكانيات اللغوية الهائلة التي يختزلها العمل الروائي .

المقدمة :

تعد الرواية الجنس الأدبي الأكبر من بين فنون الأجناس الأدبية في قابليتها على استيعاب التطورات التي تحدث في البنية الاجتماعية فضلا عن كونها نقلا حيا للأحداث والمواقف التي يختلقها الروائي ليعرض الضوء على الجوانب المهمة في الحياة فهو يعكس صورة للواقع بكل ما فيه بطريقة فنية وجمالية لتصبح الرواية فضاء تعبيريا يلجأ إليها الأديب لنقل أفكاره وتجاربه ووجهات نظره إلى المتلقي من خلال مجموعة العناصر التي تتناظر فيما بينها لتمنح الرواية قيمتها وبريقها وقدرتها على إيصال الأفكار ومن ابرز هذه العناصر الشخصيات التي تمثل مركز العمل الروائي ، لكونها تعد العنصر الفعال الذي ينجز الأحداث ومن خلالها يعبر الروائي عن فكرته وتجربته في الحياة ومن هنا تبرز أهمية حضور الشخصية وتسميتها في النص الروائي ولاسيما في رواية الإعصار والمئذنة ؛ إذ أرخت لأحداث وقعت في مدينة الموصل في أثناء ثورة الشواف عام ١٩٥٨م ، قامت الشخصيات فيها بدور بارز في تسيير الأحداث ، لذا تروم الدراسة البحث في أسباب تسمية الشخصيات وعلاقتها بأفعالها وتسليط الضوء عليها لان

* كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل .

الاسم يقيم مع الشخصية علاقة سببية ترابطية، لأن دلالة الاسم هي التي ستحدد دلالة الحدث الذي تقوم به الشخصية حاملة الاسم¹ إذ لا يمكن عدّ التسمية من الفئات اللفظية إذ إنّ الروائي لا يمكن أن ينطلق من فراغ في تسمية شخصيات روايته ، بل ثمة أوصاف وملامح تتشكل على نحو ما تحدد التصنيف الخارجي للشخصية ، وتبرز أسماء الشخصيات من أهم التفاصيل وأكثرها وضوحا ، فلا بد من اسم يسمّى به كل شخصية في الرواية ، يحدد هويتها الشخصية ، ويميزها عن غيرها . فاسم الشخصية يشكل دلالة إضافية لا تخلو من أهمية في رسم ملامحها الداخلية والنفسية فضلا عن الخارجية ، لذا كان البحث استقصاء لفاعلية التسمية وأثرها على ملامح الشخصيات فضلا عن أفعالها في رواية الإعصار والمثدنة لعماد الدين خليل من جهة وكشف عن امتلاك الروائي لرؤيا فنية واضحة في رسم تلك الشخصيات من جهة أخرى .

ويقوم هذا البحث على تمهيد ومبحثين ؛ تناول التمهيد أهمية تسمية الشخصيات ودورها في العمل الروائي من حيث مدى انسجامها وتناسبها ما بين مقصديتها واعتباطيتها ، أما المبحث الأول فيقوم على دراسة أسماء الشخصيات الرئيسية في الرواية وهي : (عاصم الدباغ ، سلمى خطيبة عاصم الدباغ ، عبد الرحمن الشيخ داوود والد سلمى ، هاشم عبد السلام خطيب مسجد ، حنة جرجيس داوود ، يونس سعيد عتالة). وتناول المبحث الثاني دراسة واستقصاء دلالة أسماء الشخصيات الثانوية التي أدّت أدوارا في الدلالة وهي : (ابتسام ، حازم صبري ، عبدالله الجزار ، عليّ) وخلص البحث إلى خاتمة حملت بعض النتائج .

التمهيد:

تشكل تسمية الشخصيات محورا أساسيا في العمل الفني عموما والعمل الروائي خصوصا لأنها تعد العتبة الأولى لفهم العمل والدور الذي سيقوم به صاحب التسمية المعينة وهي إحدى السمات المميزة للشخصية .

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراري ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط١ ، ١٩٩٠م

والاختيار الموفق للاسم في النص الروائي يرفع من القيمة الفنية للرواية ، والروائي المبدع هو الذي يدرك مدى أهمية أسماء شخصياته الروائية ودقتها ومناسبتها لتكون منسجمة وموضوعه إذ يفهم من الاسم ومن مقروئته علة اختياره. فالروائي يعنى بأسماء شخصياته لما لها من دلالة تحملها داخل النص الروائي و هي أقرب إلى الفن منه إلى الواقع ، فأهمية الاسم في الرواية ضرورة ملحة لا يمكن قيام الرواية بدونها، ولا يمكن قيام عرض صورة الشخصية على طول الرواية دون منحها اسما ذا دلالة فنية لان الاسم بلا شك هو الذي يعمل على إثارة جوانب كثيرة في الرواية ، والفنية تلزم إن يكون الاختيار مؤسسا على فهم كامل للعمل القصصي وطبيعته ، لان لاسم الشخصية عموما إحياء من شأنه إثارة جانب في القصة ، إذ يجنح إلى التطابق مع الوضعية النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية لهذه الشخصية أو تلك، بدليل كون الطبقة الراقية في الحضر تختار أسماء معينة ، خلافا لأهل الأرياف المتمسكين بأسماء الأجداد والأسماء التاريخية^(١) .

نجد ان أسماء الشخصيات أصبحت أهم الدوال السيميائية في توجيه دفة قراءة النصوص الأدبية سطحا وعمقا واستكناه أعماق الخطابات الفكرية تحليلا وتأويلا ، وتشريح العلامات الرمزية ، والإشارية ، والأيقونية بالمفهوم تفكيكا وتركيبا ولا يمكن استيعاب دلالات أسماء الشخصيات إلا عن طريق استثمار القراءة النصية والسياقية والذهنية واستحضار جميع المقاربات التي يستعين بها الدارسون والباحثون لتحليل أسماء الشخصيات رسدا وتبييرا ، سواء أكانت لغوية أم شرعية، أم اجتماعية أم أسلوبية ، أم لسانية أم بنبوية سيميائية، واستجماع مجمل الدلالات التي تؤديها أسماء الشخصيات في علاقتها بذواتها وبنياتها ودلالاتها ووظائفها وفي علاقاتها بالنصوص أفقيًا وعموديًا^(٢) .

وقد اختلف الروائيون في مسألة التسمية في النص الروائي من حيث الأهمية إذ نجد خضوع أسماء الشخصيات في الرواية بدورها لثنائية الاعتبارية و

(١) أهمية اختيار الاسم في الرواية ، دشرحبييل ، كلية المجتمع بالقويبية، مقالة على الشبكة المعلوماتية .

(٢) الدلالات السيميائية في الرواية العربية السعودية ، د جميل حمداوي

المقصدية إذ هناك من الروائيين من يستعمل اسم الشخصية بطريقة اعتباطية غير معلله ، ومنهم من يشغلها بطريقة مقصودة يريد بها دلالات معينة ، يقول حسن بحراوي : ((يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة منسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته ، وللشخصية احتماليتها ووجودها ، هذه المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية ليست دائما دون خلفية نظرية ، كما أنها لا تنفي القاعدة اللسانية حول اعتباطية العلامة فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز ، فهو يتحدد بكونه اعتباطيا إلا أن درجة اعتباطية علامة ما او درجة مقصوديتها يمكن أن تكون متغايرة ومتفاوتة ، لذا فمن المهم البحث في الحوافز التي تتحكم في المؤلف وهو يخلع الأسماء على شخصياته))^(١) . والروائي حر في توظيف هذه القصيدة وتعليلها وليس مجبرا على قواعد معينة فهو حر في الاختيار والتعيين والاستبدال والتسمية فبإمكانه أن يطلق عليهم أسماء الأنبياء عليهم السلام والأولياء أو أسماء لها بعد تاريخي أو ألقابا مهنية أو يعينهم بألفاظ القرابة أو ينسبهم إلى مواطن إقامتهم او يطلق عليهم أسماء عاهات تميزهم او تجعلهم مختلفين عن غيرهم او يضع لهم أسماء مجازية أبعد ما تكون في الدلالة عليهم^(٢) من كل ما تقدم تبرز ما أهمية اختيار وانتقاء أسماء الرموز الفنية في العمل الروائي لتكون منسجمة ومتوافقة مع ما يناط لها من مهام وادوار وأحداث في الرواية^(٣)

إن اختيار رواية الأديب عماد الدين خليل (الإعصار والمئذنة) لدراسة أسماء الشخصيات التي وردت في الرواية في مقارنة دلالية نحاول فيها بيان مدى توظيف عماد الدين خليل لأسماء شخصياته وتأطيرها وتمييزها ودلالاتها الايقونية في روايته . وان كنا قد لاحظنا منذ الوهلة الأولى لقراءتنا للرواية بأن الروائي حين اختار أسماء شخصياته في رواية الإعصار والمئذنة كان في منتهى الوعي والدقة والإصابة قاصدا وهادفا توضيح دور كل شخصية من شخصيات الرواية ، مدركا بأن اسم الشخصية يحدد ملامح الشخصية وطبيعتها بل يوقن بأن الاسم يعرف الشخصية ويختزل

(١) بنية الشكل الروائي: ١/٢٤٧.

(٢) بنية الشكل الروائي / ٢٤٧.

(٣) بناء الشخصية / ١٣٣.

صفات وسلوكها وكأن واجبا على الشخصية أن تحمل اسما يميزها ويؤطرها ويجمل دورها كلاً في الرواية. ولأنه مدرك كذلك بأن الاسم له أهمية ودور فاعل في التخيل الروائي فضلا عن الوشائج التي يمدّها بين الشخصية ومرجعيتها لتجذير الواقع في العمل الروائي وله دور بارز في تحديد هوية الشخصية والكشف عن دلالاتها^(١).

و لمسنا بأن عماد الدين خليل قد اختار أسماء بعض الشخصيات من واقع الحياة والأحداث التي أرخت لها الرواية حاملة لدلالات عقديّة فكرية ، واجتماعية ثقافية ، وربما سيكولوجية نفسية، تلازم الشخصيات مدة وجودها داخل النص، فالمقصديّة واضحة وبارزة والهدف إضفاء صورة للقارئ أو المتلقي بأن الرواية تنقل لنا السيرة الذاتية لكل شخصية ، فالروائي نجح في رسم صورة للشخصيات فضلا عن تقديم السيرة الذاتية لها مجملّة من خلال أسمائهم فكانت اختياراته متناسبة ومنسجمة ومتطابقة بحيث تحقق للنص مقروئياته وللشخصية احتماليّتها ووجودها . وقبل اللوج في تحليل الأسماء لابد لنا من الوقوف أمام عتبة الرواية -عنوان الرواية- وهو تسمية الرواية بوصفها علامة دالة على محتواها .

والعنوان على أهميته أصبح علما مستقلا له أصوله وقواعده التي يقوم عليها، فهو يوازي إلى حد بعيد النص الذي يسمه ، لهذا فإن أي قراءة استكشافية لأي فضاء لا بد أن تنطلق من العنوان "^(٢) كما انه لم يعد "زائدة لغوية يمكن استئصالها من جسد النص"^(٣) بل أصبح عضوا أساسيا يشار ويستأنذ^(٤) .

ويرمز عنوان الرواية "الإعصار والمئذنة" إلى الصراع العاتي بين الإيمان والإلحاد.. الإيمان الذي تمثله المئذنة، والتي ترمز بدورها وتشير إلى جامع النوري الكبير

-
- (١) ينظر: العلامة في ثلاثية ارض السواد لعبد الرحمن منيف دراسة سيميائية د فيصل غازي / ٢٠٥ .
 (٢) شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي، الطاهر رواينية، معهد اللغة العربية وآدابها، عنابة، ١٩٩٥/١٤١ .
 (٣) سيمياء العنوان في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، شادية شقروش، الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، بسكرة في ٧-٨ نوفمبر ٢٠٠٠، منشورات الجامعة/٢٨٦ .
 (٤) علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين دمشق سوريا /٤٧ .

ذي المنارة الحدياء الشاهقة والمصلى الواسع والفناء المترامي المنارة المتفردة التي بناها نور الدين محمود قاهر الغزاة الصليبيين ..الموحد والمحرر... مد أسبابها إلى السماء لكي تبرز واضحة للعيان من أي مكان يلقي منه المرء بصره ..لقد ظلت قائمة ،عبر القرون المتطاولة ،بانسيابها الجميل صوب الأعالي شاهدة على انه ما من احد يقدر على تغيير وجه المدينة الأصيل.. الموصل التي أعلنت انتمائها منذ قرون إلى منارتها العالية ،أخذت منها اسمها، صامدة.. ومتحدية. والإلحاد الذي يمثله الإعصار الشيوعي دؤم فوق مدينة الموصل في محاولة منه لاستئصال إيمانها من الجذور والعبرة كما يقول المثل بالنتيجة ..والنتيجة هي ان يتفتت الإعصار عند حافات المثذنة.. وتبقى تؤدي وظيفتها الكبرى في رفع شهادة التوحيد القديرة على أن تزحزح الجبال عن مواضعها. وإذا كانت أحداث الرواية تشير إلى هزيمة الفئة المؤمنة وانتصار الفئة الشيوعية الباغية، ففي هزيمة الفئة المؤمنة واستشهاد بعض قادتها ورجالها حياة ، لأنهم زرعوا بذور الحياة في تربة الموصل الصامدة وعلى الرغم من موت هؤلاء جميعاً وبقاء الدين شامخاً صلباً خالداً إشارة عميقة الدلالة إلى النهاية الحقيقية للرواية. ذهاب الإعصار وخموده وبقاء المثذنة شامخة يتردد منها نداء التوحيد. وفي انتصار الفئة الشيوعية الباغية موت أو اتجاه نحو السقوط والأفول. وبعد تحليل العنوان نذكر هنا أسماء الشخصيات مصنفة إلى :

المبحث الاول :أسماء الشخصيات الرئيسية:

أ-عاصم الدباغ

ب-سلمى خطيبة عاصم الدباغ

ج-عبدالرحمن الشيخ داوود

د-هاشم عبدالسلام

هـ-حنا جرجيس داوود

و-يونس سعيد عتالة

المبحث الثاني :أسماء الشخصيات الثانوية:

أ-ابنسام

ب-حازم صبري

ج-عبدالله الجزار

د-عليّ

ومرتبة حسب أهمية الاسم والدور الذي أدّاه حامله في الرواية وفق الترتيب

الأبجدي:

أ - **عاصم الدباغ** : أعطى الروائي اسم عاصم لشخصية نجدها في المجتمع كثيرا تلك الشخصية التي تعصم نفسها عن الخوض في غمار التحديات وتؤثر الركون إلى تل السلامة الذي ظن ابن نوح انه عاصمه من الماء فلا موقف ولا مبدأ ولا مشاركة ولا عمل إلا في إطار ما يعصم نفسه ومن ثم يسعى ليعصم خطيبته مما يكاد للمدينة وأهلها من قبل الشيوعيين ، فهو رمز لمن يؤثر مصالحه الشخصية ولا يهيمه الثورة ولا المدينة انما جلّ همّه ان يعصم نفسه مما يدور.. لذا يحاول إقناع خطيبته بالذهاب إلى بغداد والهروب من واقع المدينة لحين أن تتجلي الأمور وحينما ترفض خطيبته التخلي عن المدينة وتركها تستباح من قبل الشيوعيين يعصم نفسه بان يتخلى عن أحب الناس إليه ويعصم نفسه من مشاركة أهل مدينته على الأقل في مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه ما يجري من اذ يتجلى ذلك في حوار مع خطيبته سلمى^(١):

عاصم :خير للمرء أن يغادر الموصل إلى بغداد ..هذه الأيام على الأقل فان ما هو آت اشد هولا مما يجري الآن

سلمى:لن يكون هذا ...أنا لا أوافق عليه !

عاصم :لا تندفعي وراء المثاليات يا سلمى ،فان الناس إذا ما دهمهم الخطر يجدون أنفسهم مدفوعين للبحث عن الأمان

قاطعته سلمى :ليسوا كلهم على أية حال ..

فعاصم ليس لديه أي موقف تجاه الأحداث الجارية في المدينة ، وتجاه ما يخطط له الشيوعيون من استباحة المدينة من خلال عناصرهم وأنصارهم الذين جاؤوا على متن القطار من بغداد ويظهر موقفه هذا من خلال المونولوج الداخلي إذ يقول: "ليس لك إلا

(١) الإحصار والمثمنة/٣٤-٣٥.

أن ترجع ،فانه ليس يوماً كبقية الأيام" وفكر وهو يتراجع باتجاه موقف سيارته: "سأحاول من شارع ابن الأثير عند الطرف الغربي للمدينة ويمكن أن انزلق من هناك بسهولة إلى باب الجديد فشارع الغزلاني"^(١)

وفي موقف آخر يشهد عاصم بداية مظاهرتين احدهما لأهالي مدينة الموصل والأخرى للشيعيين وأنصارهم القادمين من بغداد

فينظر للطرفين ثم لا يشترك ولا يتعاطف حتى مع أهل مدينته ثم يمضي وكأنه لم ير شيئاً في دلالة واضحة على عدم اتخاذ أي موقف بسبب حرصه على سلامته فضلاً عن رغباته الذاتية وخاصة الظفر بخطيبته فهو لا يريد أن يعكر صفو حبيبته يريد السلام لكي يفوز بسلمى فقط ، وعندما تفشل ثورة الموصل يختفي من الساحة نهائياً. و كل ما رصدناه من مواقف ومشاهد يصور لنا شخصية عاصم ودوره الذي جسده لينسجم و يتناسب مع ما ورد في مادة (عصم) اللغوية إذ يذكر ابن فارس أن : العين والصاد والميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة من ذلك العصمة ، وعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه واعتصم العبد بالله تعالى : إذا امتنع ، واستعصم :التجأ. وتقول العرب :أعصمت فلانا ،أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي : يلتجئ ويتمسك به^(٢) فعاصم عصم نفسه ومنعها من أن يتخذ موقفاً أو قراراً يظهر فيه منحازاً لا لأهل مدينته ولا للشيعيين والتزم ذلك الموقف إلى نهاية الرواية ، فهو رمز لأبناء الأغنياء الانهزاميين الذين يريدون السلامة لأنفسهم ورغبتهم في الهروب من المشاكل والتحديات خوفاً على مصالحهم الشخصية ولو على حساب القيم والمبادئ والمثل العليا ، أما لقب الدباغ فواضح الدلالة على أنه من عائلة تزاوّل مهنة الدباغة فأبوه يملك معملاً كبيراً للدباغة على الطريق الذاهب جنوباً صوب بغداد فضلاً عن انه كان يملك أسهماً كثيرة في عدد من المصانع والأنشطة التجارية^(٣) فلقب الدباغ يشير إلى الطبقة الغنية في المجتمع آنذاك وعندما مات أبوه انتقل إدارة المعمل والأموال والأسهم إلى عاصم وأصبح

(١) الإعصار والمثدنة/٤٠ .

(٢) مقاييس اللغة/٦٧٧ .

(٣) الإعصار والمثدنة /٦٥ .

قيماً عليها جميعاً . فاختيار الروائي لاسم ولقب هذه الشخصية جاء ليتلائم مع حركة الشخصية في النص فضلاً عن فعلها تجاه ما يحدث في المكان (الموصل) ومتوافقاً ومنسجماً يدل على قوة البراعة الفنية والدقة المتناهية والوعي المسبق لما سوف تمثله هذه الشخصية من مواقف ومشاهد في الرواية .

ب - سلمى خطيبة عاصم الدباغ: تمثل سلمى الشخصية النامية و التي تتمظهر في الرواية بوصفها المحور المتحرك والديناميكي وتنمو عبر تفاعلها المتنامي مع تطور الأحداث الرئيسية في " شبكة العلاقات السردية القائمة بين الشخصية وعناصر الحكى في النص الروائي أو القصصي نستطيع اكتشاف هوية الشخصية ومكانتها في النتاج الفني وصفاتها الذاتية من ملامح الحالة النفسية وطريقة التفكير والحضور الروحي الذي يتجسد ليشارك في بناء النص ك (وحدة حدثية كبرى)" (١) فضلاً عن إنها تتميز بتعدد أبعادها وصفاتها العاطفية والانفعالية والفكرية (٢) . وهذا ما نلمسه في شخصية سلمى عبد الرحمن (خطيبة عاصم الدباغ) من خلال تقصي الأحداث في الرواية بدت صاحبة موقف إزاء الأحداث " وإذ كان عاصم يتجاوز بالعشق الحلال ثقل الزمن وبؤسه، كانت سلمى أشد حساسية إزاء ما يجري في المدينة، إن الهاجس الذي يدق في قلبها، وتتصادى أجراسه الحزينة عند المساء، عبر هذه اللحظات بالذات، لا يمكن لصوت عاصم أن يغطي عليه، أو أن يمحوه" (٣) .

ولكي تحدد سلمى موقفها أرادت أن تسمع خطبة الإمام هاشم عبد السلام فطلبت من والدها أن تصلي معه الجمعة لتشعر بالإيمان والتوحيد وتتجاوز حدود المخاطرة المنتظرة شعرت من خلال خطبته بنشوة روحية تغمر عقلها وحسها ووجدانها مما جعلها تتوقد أكثر اذ يقول الروائي ((سلمى أحست من جهتها بتوقد أكثر، وكانت تشعر بسعادة غامرة وهي ترى آخر شرح في وجدانها يتضاءل ويختفي.. ليس بمقدور خطيبها بعد اليوم أن يسحبها ثانية إلى مواقع التردد والازدواج.. في لحظات المصير ليس ثمة خيار فيما

(١) هكذا تكلم الصلصال، غالية خوجة /٣٨.

(٢) ينظر: النقد التطبيقي التحليلي، عدنان خالد عبد الله/٦٨.

(٣) الإعصار والمثذنة رواية إسلامية معاصرة، د عماد الدين خليل /٩-١٠.

الأمن والاستقرار، وإما الخوف والمطاردة والغربة، لكنه أمن يخفي وراءه الخزي والذلة، وتغرب يمنح الإنسان المؤمن أعز ما يطمح إليه التوحد، وتلك هي السعادة التي يبتغيها المؤمنون^(١)

تزداد الشخصية في النص قلقاً عندما تجد المواقف السلبية لخطيبها وهو يقنعها بخمس ساعات من السفر بحثاً عن الأمان والاطمئنان، إنه يؤثر السلامة ويريد أن تدعن لموقفه بالسفر إلى بغداد لأيام حتى يزول الخطر المحقق بالمدينة وتتجلى الأمور وبعدها يمكن العودة بعد أن تهدأ الأوضاع. أما هي فتقول بعصبية: والموصل؟ فيجيب بكل سلبية: لسنا مسؤولين عنها، إن للبيت رياً يحميه، وما لبث أن راح يقنع الوالد بأن مسؤولية سلمى تقع على عاتقه. ويتجلى الصراع بين الموقفين لدى كلا الشخصيتين عاصم وسلمى بقول الراوي " نظرت سلمى إلى أبيها بتوسل.. إنه يستطيع بكلمة منه أن يرغمها على الإذعان لهوى خطيبها.. لإثرتة التي يحاول أن يزينها بديكور العقلانية، والتي انكشفت الآن فتبدت على حقيقتها أكثر من أية فترة مضت. قالت في نفسها: هل العقل يأذن بأن يتخلى الإنسان عن أهله ووطنه إذا ما داهمه الخطر؟ ونظرت إلى أبيها بعينين ضارعتين مرة أخرى.. وكان عبد الرحمن يدرك تماماً ما يعتمل في نفس ابنته، وغرته اللحظة الفكرة التي عرضها صهره، ولاسيما بعد حديثه عما يقال عنها، وعن مسؤوليته عنها، لكن سرعان ما تبدى له الموقف على حقيقته^(٢)

جسدت شخصية سلمى عبر حواراتها المتعددة السلامة المنهجية والمبدئية والفكرية والعقدية وهذا ما نستشفه من مواقفها التي عكست صدق أحاسيسها ومشاعرها تجاه مدينته إذ لم تمنعها الراحة والعيش الرغيد والدعة التي كانت فيها ولم يمنعها إلحاح خطيبها عن التخلي عن منهجها وهي ترى محاولات الشيوعيين تغيير وجهة المدينة يدل على سلامة فكرها وعقيدتها التي كانت تدفعها الوقوف إلى جانب الثورة و الثوار من أبناء مدينتها وتأييدها نابع من إيمانها العميق المخالف للقيم و المبادئ الإلحادية التي

(١) الإعصار والمثذنة / ٣٩-٤٠.

(٢) المصدر السابق / ١٠٣-١٠٤.

حاول أنصار الشيوعية نشرها في المدينة بالقوة والإرهاب و التتكيل ، لا سيّما بعد فشل الثورة واستباحتهم للمدينة تخريبا وحرقا وقتلا حتى سلمى لم تسلم منهم بل دفعت حياتها ثمنا لمواقفها السليمة فاختيار المؤلف اسم سلمى تعني السلام وهذا يتناقض مع فعل الشخصية وردة فعلها تجاه ما يحصل في واقع النص وهو ما يشير إلى رفض الشخصية الاستسلام ومن ثم يقود إلى التحفز لدى القارئ لإكمال النص والتأمل بأفعال الشخصية التي تتناقض مع اسمها ، ثم إن اسم سلمى المشتق من الجذر اللغوي (سلم) وهو أصل يدل على الصحة والعافية ،وسلم يسلم سلامة وسلاما يعني التعري من العاهات والآفات الظاهرة ،واسلم :انقاد وصار مسالما منقادا^(١). فهي السليمة الفكر والمواقف ، وهي التي أسلمت وانقادت إلى صوت الحق إلى نداء دينها وإيمانها كيف لا وهي التي كانت تحرص على حضور خطبة الجمعة لتستمع الى مرشدها الروحي في جامع العجيل حيث الشيخ هاشم عبد السلام يلهب ويوقد جذوة الإيمان في قلوب المصلين ويمنحها اليقين والاطمئنان ويبعث في نفسها القدرة على مواجهة الأفكار الهدامة ومجابهة الباطل مهما سطا و علا وتمكن فانه زائل ولان العاقبة للمتقين، فاسمها اختزل دورها وموقفها في الرواية.

ج- **عبدالرحمن الشيخ داوود:** شخصيّة عبد الرحمن داود (والد سلمى) شخصية ثابتة فهو ضابط قديم في الجيش وقد أحيل على التقاعد، ولكنه يملك كثير من الحكمة والصرامة ويقضي اغلب وقته في تلاوة القرآن الكريم بصوت هادي ما تيسر له أن يتلو ، ويبدو من حديثه مع عاصم خطيب ابنته انه مستوعب لما يجري من أحداث في المدينة ومدرك لأبعاد الفتنة التي تحاك لها في الخفاء فالعسكري ينظر إلى ميدان الحياة ومالات الأحداث بحنكته العسكرية وبصيرته الواعية وهذا ما نلمحه في تحليله وإجاباته لعاصم^(٢)

- عاصم : يقال إنهم سيرسلون أكثر من قطار لكي تستوعب الحشود الكبيرة القادمة من بغداد، ماذا لو استجاب الزعيم لتوسلات الشواف.

(١) مقاييس اللغة/١٢:٤.

(٢) الإعصار والمئذنة /١٨.

- عبد الرحمن : يستجيب انه كان مصمماً منذ اللحظة الأولى على تنفيذ لعبته، ومن يدري فلعله يعرف جيداً ما يببته له اللواء الخامس، ويعرف أكثر رفض المدينة ميله إلى الشيوعيين وتفردده بالسلطان وهكذا فهو يعتمد تفجير الموقف قبل أن يزداد تعقيداً ويفلت الزمام إنها خطة موسومة... ذلك هو ما يسعى إليه معتقداً أنه الراجح في نهاية الأمر.

ويبقى عبد الرحمن محافظاً على موقفه الإيماني الراسخ والمبدئي الثابت طيلة أحداث الرواية فهو يصلي خلف الإمام هاشم عبد السلام وينصت لسماع خطبه التي تلهب المشاعر وأحس بنشوة روحية عارمة تغمر عقله وحسه ووجدانه. وعندما طلب منه عاصم أن يرحلوا جميعاً إلى بغداد أقتنع أولاً، ولكن رفض فيما بعد لان عمله السابق ضابطاً يلزمه الوقوف مع أبناء المدينة وإلا يتركها هارباً فهذا ما تعود عليه سابقاً ولا بد أن يبقى عليه إلى الموت. ونتيجة لتمسك عبد الرحمن بمبادئه الإيمانية والمبدئية من الفئة الشيوعية الباغية يقع ضحية للأيدي الأثمة يونس سعيد عتالة وغيره. ويكشف الحوار عن ذلك^(١):

"- عبد الرحمن : لسنا خونة ولن أسمح لك بأن تقولها مرة أخرى.

- يونس : خونة ومتأمرون.

- عبد الرحمن : لسنا نحن الخونة على أية حال..هناك حكومة تقرر وتدين ليست المسألة فوضى.

- يونس : الآن نحن الحكومة..كلنا فداء للزعيم..نموت و تحيا الديمقراطية.

- عبد الرحمن : لكم أن تتأكدوا وستعرفون جيداً أننا لسنا خونه.

- يونس : فمن كان يصلي خلف هاشم عبد السلام قبل ثلاثة أيام؟.

- عبد الرحمن : وماذا في ذلك.

(١) المصدر نفسه/١٨٠-١٨٥.

- يونس : هاشم خائن، وسوف يلقي جزاءه، ألا تدري أنه أشترك في الإعداد لمؤامرة الشواف وساهم فيها... وقبل أن يتاح لعبد الرحمن أن يلتفت لكي يدافع عن نفسه استقرت عدة طلقات في ظهره سقط على أثرها مضرجاً بدمائه".

ومما سبق تبين أنّ شخصية عبد الرحمن ثابتة لثبات أهدافه ومبادئه منذ شبابه وعمله ضابطاً في الجيش وحتى بعد تقاعده إلى أن واجهت مدينة الموصل ما واجهت من المد الشيوعي السافر، ومن جانب آخر نجد ان اسمه (عبد الرحمن الشيخ داوود) يتناسب كثيرا مع سماته الشخصية في الرواية فهو عبد للرحمن يقضي معظم وقته في الصلاة والذكر وقراءة القرآن والأب الشفيق العطوف الرقيق على ابنته الوحيدة التي ليس له سواها وهذا ما يتناسب مع الأصل اللغوي لمادة (رحم) الدال على الرقة والعطف والرأفة^(١) وكذلك اسم والده (الشيخ داود) يحمل بعدين الأول دلالي مستوحى من لفظ (الشيخ) إنه ربما كان من علماء الموصل الأجلاء وربما اختزن لقب الشيخ دلالات الحكمة ومكابدة السنين واختزان الخبرات واجتماع العلم بأسبابه وربما لا يخلو من دلالات دينية وعقدية ويضم إلى ذلك الرئاسة للقوم والجماعة وإعطاء الرأي والمشورة والحكم بالصواب، تلك الدلالات يبتعثها كذلك اسم (داوود) الذي كان علما لنبّي ورث العلم والملك والسلطان واتسم بالحكمة والحكم والصائب فضلا عن كونه اسما تاريخيا ورمزا دينيا فالروائي كان موفقا جدا في دقة اختيار وتسمية هذه الشخصية.

د- هاشم عبد السلام : شخصية دينية يتحرك بدافع من الدين وشعور إسلامي مستمد من الكتاب والسنة النبوية وروح الثورة والانتفاضة ضد الشيوعية التي تحاول نشر أفكارها وقيمها ومبادئها التي تخالف عقيدة الإسلام عقيدة أهل مدينة الموصل فيقف إلى جانب الضباط الأحرار يؤمن بان المنهج الإلهي هو المنهج الأمثل والأصلح والأفضل لحياة سعيدة تسودها الحرية والعدالة وهي ايدولوجية راسخة في ذهنه وعقيدة لا تنتزح مهما عظم وتجبر الباطل ويطش بمعارضيه . ويكشف لنا الحوار الذي دار بينه وبين حنّا جرجيس كيف استطاع أن يدحض مواقفه ويسقّه أراءه التي دفعته إلى الانضمام إلى

(١) مقاييس اللغة / ٣٧٥.

الحزب الشيوعي ويكون من أنصار السلام حسب ادعائه وان يحطم القيم والمبادئ الإلحادية التي يتصور أن فيها الخير للبشرية وهو يضم الحقد و النزعة العنصرية الطائفية التي جعلته يجد في الشيوعية ضالته ويكشف اللقاء الذي جرى بينهما في مطبعة جريدة الأنوار المحلية:

"-حنًا: أهلا بالضيف الغائب، لشد ما كنت أتوق للقاء كهذا.. إن لدي الكثير مما أريد أن أقوله لك

هاشم: فرصة طيبة

أراد أن يجلس قبالة حنا، ولكن ألح عليه أن يكون في جواره!

- منذ متى ونحن لم نلتق؟ أجاب هاشم: ليس اقل من سنتين على ما أظن
- أكثر.. أكثر.. ألا تود أن تشرب شيئاً؟

- ليس غير الشاي ما يعيد للرأس استقراره فان الإنسان يعاني من الدوار هذه الأيام!

قال حنا وقد أحس بالخوزة: ولكنك بخير والحمد لله!

أجاب هاشم بصراحته المعهودة:

- لن أكون بخير ومدينتي تتلوى تحت وطأة غزو سيسخر له الزعيم حشودا من أدياء السلام..

انكمش حنا بعض الشيء وبذل جهدا مزدوجا لاستعادة بشاشته وتغيير الموضوع للابتعاد به عن نقطة المجابهة..

-والحق أنني منغمر هذه الأيام حتى شحمة أذني في ترجمة كتاب..

- هاشم : ولكنك على ما بلغني عنك بدأت توجه اهتمامك نحو مسائل أخرى غير الترجمة والقراءة.

- حنا : هاشم إنك لتدري كيف أن المرء قد يستل أحيانا من صميم عمله وهوايته، بل قد يبعد عن

أهله مرغماً دون أن تكون لديه القناعة الكاملة بهذا الفراق.

- هاشم : يعني أنك انتميت إلى حركة أنصار السلام في الموصل مرغماً ؟ وذهبت إلى بغداد

للتسيق مع اللجنة المركزية على غير رغبة منك!؟.

- حنا : ليس هذا ما أعنيه.
- هاشم : المدينة كلها تتحدث عن هذا .. إنها ليست مسألة استنتاج أو تخمين ولكنها حقيقة مشهودة
كلقائي بك هذه اللحظة..
- حنا : وأنا أيضا أرفض الحديث على مستوى النوايا، ولنسأل ما الذي فعله أنصار السلام.
- هاشم : إن أنصار السلام ... لا يعدون أن يكونوا إحدى واجهات الحزب الشيوعي.
- حنا : وعلماءكم الذين انتموا للمنظمة؟.
- هاشم: هم كبعض قسكم الذين دخلوا كوادر حزب ملحد لا يؤمن بكلمة واحدة مما تقوله الأناجيل... فهناك على الطرف الآخر ألوف من علماء المسلمين ورجال الكنيسة النصرانية في العالم يقفون بإيمان عميق بمواجهة الكفر والإلحاد اللذين يسعيان لاكتساح العالم باسم الأيديولوجية.. وقوانين الحركة التاريخية ،وحماية الإنسان، وإنصاف المظلومين....انك أصبحت واحد من الذين يسعون لتسخير الكنائس في الموصل لخدمة الموجه الجديدة بحجة الوهم الذي صنعه أعداؤنا وأعداؤكم ،وهو أنّ هناك خطرا تاريخيا مشتركا..
- سال حنا وقد أحسّ أنّ أوراقه أصبحت مكشوفة أكثر مما يتصوّر : أيّ خطر مشترك هذا؟
قال هاشم الإسلام!
-ولكن .."

يكشف لنا الحوار أولا البعد الفكري لشخصيتي هاشم وحنا، فالأول: مسلم ويعيب ويحمل على الشيوعية فكرها الإلحادي في حين أن الثاني: نصراني متقف يقف مع الشيوعيين ضد المسلمين لتحقيق أهدافه ومآربه ،وهو يدرك تماما أن أنصار السلام واجهة من واجهات الحزب الشيوعي ويسوغ انتمائه بان عدداً من الشيوخ انتموا أيضا إلى هذا الحلف ، وهنا تتصادم وجهات النظر على مستوى الأفكار فلا يمكن أن يلتقيان بل على العكس يتقاطعان .ثانيا إن هناك توافقا كبيرا بين دلالة اسم هاشم المشتق من الجذر "هشم" وهو أصل يدل على كسر الشيء اليابس والأجوف ، وهاشم أبو عبد المطلب جد النبي صل الله عليه وسلم مجمع على انه مسمى به لأنه أول من هشم الثريد أو ثرد الثريد

وكان يدعى عمرا قبل ذلك^(١). لكن نجد الروائي قد صاغ معنى مجازيا للهشم ثم أطلقه على إحدى الشخصيات الرئيسة في الرواية فهاشم من خلال الحوار يكسر اليقينيّات للافكار والمبادئ وحتى المبررات التي يسوقها خصمه في التبرير لانتمائه إلى الحزب الشيوعي.

كما أنّ البعد الاجتماعي يوضح لنا شخصيّة هاشم عبد السلام نستعرضها من خلال نصوص الرواية " فهاشم عبد السلام إمام وخطيب احد جوامع الموصل: " ألوف من المؤمنين جاءوا من كل مكان لكي يلتقوا برجل المدينة وإمامها هاشم عبد السلام، فهو يعرف كيف يتحدث وكيف يتحدى وهو يعرف- كذلك - كيف يجعل الجذوة المشتعلة في الصدور تزداد توقدا واشتعالا (٢)) يظهر الوصف في النص مكانة هاشم في نفوس المؤمنين وهم يحضرون خطبة الجمعة وما أن ارتقى المنبر فإذا بأصوات الألوف المتجمهرة من المصلين رجالاً وشباناً ونساء انخفضت لتتصت لحديث إمامهم من خلال استعراضه الوقائع والتعليق عليها. وهي تضيء لنا أيضا بان اسم (عبد السلام) والسلام هو اسم من أسماء الله جل ثناؤه سمى بذلك لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء^(٣)

إذا ما سلّمنا بان الإنسان له من اسمه نصيب ومن خلال إشغاله الخطابة والإمامة فكان يدعو الناس إلى الإسلام والسلام وان يكونوا من أنصار السلام (الله) كما قال عيسى للحواريين من أنصاري الله، وليسوا أنصار السلام الذين يمثلون التنظيمات الشعبية للحزب الشيوعي آنذاك وهو تعريض أيضا من المؤلف بالشيوعيين. فاختياره هذا الاسم لهذه الشخصية كانت متوافقة ومنسجمة مع الدور التي أدّتها في الرواية.

هـ - حنا جرجيس داود: يعد البعد الفكري المرأة العاكسة لتصرفات الشخصية وهويتها ووعيتها وتفردتها إذ انه يكشف عن " الحالة الذهنية للشخصية ويتبين ردود أفعالها

(١) مقاييس اللغة/٩٣٧.

(٢) الإعصار والمثدنة/٣٧-٣٨.

(٣) مقاييس اللغة /٤١٢.

ودوافعه^(١) اتجاه الآخرين لتسهم في تشكيل أسلوبها في التعامل الفكري في الحياة لأن " كل أسلوب صورة لصاحبه تبين طريقة تفكيره، ونظرته للأشياء وتفسيره للمواقف وطبيعة انفعالاته^(٢) الذي يسهم في تطوير الأحداث وبعث الحرارة والحيوية في المواقف المتميزة، وبشكل يحقق منه تصوراً متكاملًا لظواهر الواقع^(٣) لذلك يعد تفكير الشخصية جوهرها، وهو وسيلة رئيسة لكشف أغوارها لأن " من خلاله نطلع على عالم الشخصية الباطني المتمثل في جل الأفكار والأحكام والاعتقادات الخاصة في الفكر والفلسفة، والمبادئ التي تؤمن بها الشخصية وتسعى إلى أن تسود في مجتمعها^(٤) و تعرض الرواية البعد الفكري لشخصية حنا جرجيس من حيث وصف الروائي له بأنه " كان واحداً من مثقفي المدينة الجيدين وكان متمكناً من الفرنسية و الإنكليزية إلى حد كبير، ورغم أن عمله في مديرية معارف المدينة كان يستنزف منه الكثير من الوقت، فان هذا لم يصرفه عن توجيهه الأساسي، القراءة والترجمة، وكتابة بعض المقالات والبحوث القصيرة في مختلف شؤون الفكر، وبخاصة التاريخ والحضارة، ونشرها في عدد من الصحف والمجلات^(٥) ومن خلال حوار مع هاشم عبد السلام المسلم الملتزم بدينه، يمكن بيان البعد الفكري لهاتين الشخصيتين هاشم وحنا^(٦))

"- هاشم : ولكنك على ما بلغني عنك بدأت توجه اهتمامك نحو مسائل أخرى غير الترجمة والقراءة.

- حنا : هاشم إنك لتدري كيف أن المرء قد يستل أحياناً من صميم عمله وهوأبته، بل قد يبعد عن

(١) البناء الفني لرواية الحرب في العراق/ ١٠٢.

(٢) الأسلوب والأسلوبية / ٦٦.

(٣) ينظر: لغة الحوار ودلالاته في الرواية العراقية، باقر جواد، مجلة الطليعة الأدبية، لسنة ١٩٨٠م: ٣٤.

(٤) الشخصية في سلسلة روايات إسلامية معاصرة لنجيب الكيلاني، احمد طه احمد، أطروحة دكتوراه، بأشراف د.مؤيد محمد صالح اليوزيكي، مقدمه إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، لسنة ٢٠٠٦م: ١١٧.

(٥) الإعصار والمئذنة/ ٤٣.

(٦) الإعصار والمئذنة: ٤٣ - ٤٧.

- أهله مرغماً دون أن تكون لديه القناعة الكاملة بهذا الفراق.
- هاشم : يعني أنك انتميت إلى حركة أنصار السلام في الموصل مرغماً ؟ وذهبت إلى بغداد
- للتسيق مع اللجنة المركزية على غير رغبة منك؟!.
- حنا : ليس هذا ما أعنيه.
- هاشم : المدينة كلها تتحدث عن هذا .. إنها ليست مسألة استنتاج أو تخمين ولكنها حقيقة مشهودة
- كلقائي بك هذه اللحظة..
- حنا : وأنا أيضا أرفض الحديث على مستوى النوايا، ولنسأل ما الذي فعله أنصار السلام.
- هاشم : إن أنصار السلام ... لا يعدون أن يكونوا إحدى واجهات الحزب الشيوعي.
- حنا : وعلماءكم الذين انتموا للمنظمة؟.
- هاشم: هم كبعض قسكم الذين دخلوا كوادر حزب ملحد لا يؤمن بكلمة واحدة مما تقوله الأنجيل... فهناك على الطرف الآخر ألوف من علماء المسلمين ورجالات الكنيسة النصرانية في العالم يقفون بإيمان عميق بمواجهة الكفر والإلحاد اللذين يسعيان لاكتساح العالم باسم الأيديولوجية.."
- يظهر النص الحوارى البعد الفكرى لشخصية حنا فهو نصرانى منقف يقف مع الشيعيين يضمر الحقد للمسلمين لتحقيق أهدافه وهو يدرك تماماً أن أنصار السلام واجهة من واجهات الحزب الشيوعي ويسوغ انتمائه بان عدداً من الشيوخ انتموا أيضا إلى هذا الحلف. فإطلاق المؤلف اسم حنا لهذه الشخصية يوحي منذ البدء اتجاهه وبعده الفكرى وانتمائه الدينى وهو اسم شائع عند النصارى كما أن اسم جرجيس والد حنا أيضا اسم شائع عن النصارى واسم مرقد فى مدينة الموصل يظن أنه قبر لنبي من أنبياء الله عزوجل وفى هذه التسمية إسباغ لصفة الانتماء إلى النصرانية دينا إذ لا يسمى المسلمون بهكذا أسماء وربما أشار المؤلف من خلال الاسم إلى موقف المسمى حنا المعادى للإسلام والمسلمين من خلال عدائه لهاشم عبد السلام .
- و- يونس سعيد عتالة:

تمثل هذه الشخصية نمطا للشخصية المكتملة البسيطة ذات الطابع السلوكي الواحد الثابت في التعامل مع الآخرين " تبنى.. حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال أحداث القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث ولا تأخذ منها شيئاً.. وهي لا تحتاج إلى تقديم أو تفسير ولا إلى تحليل وبيان (١)) وغالباً ما تلقي هذه الشخصية الضوء على جوانب الشخصيات الأخرى وتعين على فهمها إذ إنها عامل تكويني وبنائي مهم في بنية الرواية إذ إنها تمثل العامل المشترك الأكبر لأنها ترتبط بالحدث مرة، وبالزمن ثانياً، وبالمكان الثالثة، وهكذا نجدتها متصلة بعناصر الرواية كلها اتصالاً مباشراً، أو غير مباشر بحسب متطلبات السرد (٢) . يونس سعيد عتالة هو زميل عاصم الدباغ في الدراسة الإعدادية شخصية نمطية في أحداث الرواية فهو لم يتغير وبقي على مركب نقصه الذي يعاني منه إذ يضيف الروائي في وصف بعده الخارجي والنفسي سوية (٣) لأن الخارجي يؤثر على النفسي فهو أحول العين اليسرى وجسمه نحيل جداً، مما اثر ذلك على وضعه النفسي فهو يعاني من مركب النقص فيشعر بالاحتقار والسخرية، ويحسد زميله عاصم على ثروته التي ورثها عن أبيه، وما يزيد من ذلك انه يمتاز بقدرات ذهنية محدودة. وهنا يبرز بعده

الفكري الذي أثر في تكوينه النفسي كما أنه لا يستجيب لتحدي النقص فيظل دائماً في وضعية متخبطة مريرة في اشد حالات تسلط النقص على شخصيته. وتبدو شخصيته نفسها كما كانت في الدراسة الإعدادية عندما التقى بعاصم الدباغ في أثناء المظاهرة ونلمس ذلك من خلال الحوار بينهما (٤)

"- يونس : ليس هذا يوم تنمية الأرباح .لقد خرج المال من إيديك أم تراك كما يقول المثل (كلما

كثرت ازدادت حلاوة).

(١) فن القصة، محمد يوسف نجم: ١٠٤.

(٢) الشخصية في عالم فرمان الروائي، طلال خليفة سليمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦/٤٠.

(٣) الإعصار والمئذنة/٣٤.

(٤) المصدر نفسه/٧٧-٧٨.

- عاصم : ليس هذا أوان تبادل الاتهامات ..إننا لم نلتق منذ أكثر من سنتين أهو أسلوب لائق

تستقبلني به.

- يونس : ولكنها قضية الشعب.

- عاصم: ولكني اعرفك جيد ألم نقض أربع سنوات في صف واحد ؟ لم تكن تهتم مطلقاً لهذه

الأمر.

- يونس : لم يكن يتاح لنا في العصر الملكي البائد أن نعلن عن مواقفنا.."

مما سبق يتبين من الحوار بان يونس سعيد عتالة كان شيوعيا مذ كان طالباً في الإعدادية وعندما سنحت الفرصة لإبراز ذلك عمل على الانضمام في الحزب الشيوعي. وعليه تكون شخصيته ثابتة فتصرفاته لها طابع واحد وهو التعبير عن الشعور بالنقص دائماً الذي أفرغه في حقه على عاصم وخطيبته وهاشم عبد السلام بقوله (سحقاً للخونة...والمجد للزعيم) وبعد أن حصل على ما يريد من قتل سلمى ومقتل هاشم عبد السلام أحس بنشوة عارمة اختلج لها جسده النحيل كأنه أنتصر ولكن في الحقيقة هو الفشل بعينه لان مركب النقص لا زال يسوقه إلى أفعال لا تليق بوصفه إنساناً إذ تحول إلى وحش كاسر لإرضاء رغباته ونزواته.ومن خلال الوقوف عند اسم هذه الشخصية نجد أنّ تركيبة الاسم توحى بعدد من الدلالات المتنوعة والمتباينة في آن واحد فالاسم الأول "يونس" وهذا الاسم له رمزية دينية وتاريخية ف"يونس" هو اسم النبي الذي أرسل إلى أهل نينوى والتي تتمثل اليوم بمدينة الموصل هذا البعد الديني يشير في طياته إلى انحراف هذه الشخصية عن جذور مدينته "مدينة الأنبياء" فتسميته بهذا الاسم هو من باب التعريض به وما ينبغي له أن يكون عليه من فكر وعقيدة على النقيض من مواقفه وسلوكياته التي سلكها في الرواية فما يحمله اسمه من دلالات مشتق من "أنس" إذ: "الهمزة والنون والسين أصل واحد وهو ظهور الشيء، وقالوا الإنس خلاف الجن سموا بذلك لظهورهم" (١) فبدل أن يستأنس به أصبح زميله لا يطبق رؤيته بسبب الأفكار الإلحادية التي يحمله والعقد المركبة سواء أكان

(١) مقاييس اللغة/٥٦

بفشله دراسيا أم بخلفته التي رسمها له الروائي فهو أحول العين اليسرى ونحيل الجسد، كذلك يوحي اسمه الثاني "سعيد" المشتق من سعد الدال لغة على الخير والسرور وهو خلاف النحس^(١) إلا أن حياته بؤس وشقاء وتعاسة بسبب الأفكار الإلحادية التي يحملها. وعتّاله: من عتل: وهو أصل يدل على شدة وقوة في الشيء من ذلك الرجل العتل وهو الشديد واشتقاقه من العتلة التي يحفر بها، والعتلة: الهراوة الغليظة من الخشب والعتل: هو أن تأخذ بتليبب الرجل فتعتله، أي تجره إليك بقوة وشدة، ولا يكون عتلا إلا بجفاء وشدة^(٢) وفي القاموس "العتلة الهراوة الغليظة والعتل، الأكل المنيع الجافي الغليظ وعتله يعتله جره عنيفا، وعتل إلى الشر أسرع"^(٣). وهو اسم يحمل دلالة الشدة والغلظة والجفاء والعنف وهو يتوافق ويتناسب مع شخصيته في الرواية إذ "يظهر ممسكا بزميله عاصم الذي حاول أن يتجنب المظاهرة بسيارته فركنها على جانب الطريق لكي يتبين الأمر ولما أيقن أن المظاهرة أصبحت قبالته أراد أن يفتح باب سيارته لكي يذف إليها أمسكت بكتفه قبضة قوية وجذبه إلى الشارع ثانية.. التفت برد فعل امتزجت فيه الدهشة بالخوف، فإذا به قبالة احد زملائه في الإعدادية.. صرخ: يونس سعيد؟! أجاب هذا وهو يسحب عاصم إلى حافة الرصيف"^(٤). فقيامه بعتل زميله متناسب مع لقبه هذا فضلا عن ذلك يظهر تناسب ودقة اختيار الروائي لاسم هذه الشخصية من خلال مشهد آخر حينما فشلت الثورة واخذ أنصار الشيوعية يجوبون الشوارع فرحا وابتهاجا وينتقموا من أعداءهم. فحينما ينقض مجموعة من المهاجمين مع عتّالة على منزل سلمى وينتهي المشهد بمقتل وسحل سلمى وعتلها وشدها من قبل يونس سعيد عتّالة توافق دقيق في اختيار اسمه إذ تبدأ خطوات العتل والشد والسحل^(٥)

"- انقض بالحربة بضربة قاسية على ذراعها الأيمن.

(١) المصدر نفسه/٤٠٦

(٢) المصدر نفسه/٦٣٧

(٣) القاموس المحيط/٨٣٨

(٤) المصدر نفسه /١٨٧-١٩١

(٥) الإعصار والمئذنة/٦٩

- من جراء الضربة انزلقت على الجدار واستقرت على الأرض فاقدة قدرتها على الوعي،
والدم
ينزف من ذراعها.
 - لوى معصمها وقربها من بعضهما وشدهما بحبل غليظ.
 - سحلها بالحبل هي لا تزال واعية.
 - شد الحبل شد عنيفة جعل رأسها يهوي على الأرض فيرتطم بعنف شديد.
 - سحلها من على الدرج فاخذ الدم ينبس في رأسها والكدمات تزداد على ذراعها
وقدميها.
 - سحلها على أسفلت شارع الغزلاني.
 - أعطى الحبل لعدد آخر من الحاقدين لكي يسلمونها.
 - عاد الى سحلها بنفسه إلى أن أوصلها دورة باب الجديد وهناك لفظت أنفاسها الأخيرة.
 - علق جسمها على العمود الحديدي الكهربائي المهجور قريباً من المعسكر على طريق
بغداد.
 - رفعها قليلاً وشدها بالحبل الذي رحل بها عبر شارع الغزلاني المتعرج الطويل".
- كل هذه المشاهد تظهر مدى تناسب اسم هذه الشخصية والعنف الذي اتسمت به بفعل الأحداث والأدوار التي قام بها وأدائها في الرواية وهذه التفاتة مهمة وبراعة فائقة في دقة اختيار الروائي لأسماء شخصياته بما يتناسب مع أدوارهم .

أسماء الشخصيات الثانوية:

أ - ابتسام: هي الأخت الكبرى للشخصية الرئيسية في الرواية وهو عاصم كانت لها دور كبير في إقناع والدتها بالموافقة على طلب أخيها بضرورة خطبة سلمى له والتي شاهدها أكثر من مرة في طريق عودتها إلى المنزل من مدرستها -ثانوية الكفاح القريبة من بيتهم- وهو في طريقه اليومي إلى المعمل الذي تركه أبوه- ذو النون الدباغ - له بعد وفاته واعتراض والدتها في بادئ الأمر يظهر من قولها: "ولكن لم يمض على وفاة أبيك سوى عشرة أشهر" (١) لان من عادة أهل الموصل أنهم كانوا لا يقدمون على تزويج أولادهم ولا

(١) الإعصار والمثدنة/٦٩

بناتهم قبل مضي سنة من وفاة احد الأقارب خصوصا إذا كان المتوفى أبا أو أمّا ، يقول عاصم: إنني اقدر هذا واعرف كلام الناس لا يرحم ولكنني لا أريد أكثر من جس النبض وتجيب والدته: ولماذا لا نؤجل جس النبض هذا لحين اكتمال سنة واحدة على الأقل" (١) و ذلك دليل احترام الميت وان كان مجانباً للسنة النبوية وسيرة السلف الصالح، والمسألة الثانية التي أثارها في اعتراضها هي هل أن المستوى الاجتماعي لأهل الفتاة-سلمى- هي من مستوى عائلة عاصم إذ تقول: هل هم في مستوانا؟ وهي وان كانت تنطلق بذلك من نظرة برجوازية إلا أنها تعبر عن ظاهرة كانت وما زالت سائدة عند أهل الموصل خصوصا العوائل والبيوتات الموصلية بأنهم لا يزوجون أولادهم إلا من عوائل تناظر أو تكافئ مستواهم الاجتماعي والثقافي والمادي غالبا. لكن وقوف أخته الكبرى إلى جانبه رجّحت الكفة لصالحه لاسيما حين قالت: "سوف أسعى .. إن لديّ عددا من الصديقات من قريباتها ، وسوف آتيك بالجواب إن شاء الله .." فكان لهذا الموقف من ابتسام اثر واضح في إدخال الفرح والسرور والسعادة في نفس عاصم والبسمة على وجهه وكاد أن يفقد اتزانه وهو يقفز قائلاً: "هكذا تكون الأخت المخلصة والا فلا..". فنجد توافقا وانسجاما مناسباً في اختيار اسم "ابتسام" المشتق من الجذر "بسم" الدال على إبداء مقدم الفم لمسرة وهو دون الضحك ، يقال بسم يبسم وتبسم وابتسم(٢). ووزنه افتعال وهو مصدر الفعل ابتسم، ولكنه استعمل علما للمؤنث ، أقل الضحك وأحسنه ، وحقيقته فتح الشفتين دون صوت والتبسم أكثر ضحك الأنبياء(٣) وهي تمثل رمزا للأخت التي تحاول إسعاد أخيها بإدخال الفرح والبهجة في نفسه ولا سيّما حينما وعدت بالسؤال عن الفتاة التي اختارها أخوها عاصم لتكون قرينته في المستقبل . فالاشتقاق اللغوي المعجمي لاسم ابتسام يتناسب مع دورها الذي ظهرت فيه .

ب - حازم صبري : عضو ارتباط بين قيادة حركة الضباط الأحرار وبين هاشم عبد السلام وغيره من علماء الموصل ولا بد لمن يقوم بهذه المهمة أن يكون حازماً والحزم

(١) الإحصار والمثناة /٩٣

(٢) مقاييس اللغة/٩٣

(٣) معاني الأسماء/ ١١

يدل على شدّ الشيء وجمعه، والحزم: جودة الرأي^(١) ومعناه أيضا: ضبط النفس واخذ الأمور بالثقة والتعقل والحكمة^(٢) وصبري: من صبر: بمعنى الحبس^(٣) الذي يحبس نفسه عند الجزع^(٤) والياء فيه للمتكلم ومعناه الصبر مضاف اليّ أو الصبر الذي يخصني أو حبس نفسي عن الجزع^(٥) وظهرت هذه الشخصية في موقف واحد فقط حينما كان ينتظر داخل سيارته هاشم عبد السلام قريبا من منزله لكي يأخذه إلى المعسكر حيث كان العقيد عبد الوهاب الشواف قائد الثورة في الموصل بانتظاره حسب الموعد المتفق عليه بينهما لمناقشة بعض المسائل التي تتعلق بتوقيت إعلان ساعة الصفر وإعداد البيان رقم واحد للثورة وكل هذه الأمور تحتاج إلى رجل حازم يكون أمينا وذا رأي صائب وصبوراً قادراً على تحمل هذه المسؤولية .

"الكثرة ما كان يدور في رأسيهما من أشياء يمكن أن تقال ،فان أيا منهما لم يشأ أن يقول شيئاً .. قد تكون الكثرة مدعاة للقلة ،كما أن الاكتظاظ - أحيانا- قد يجاور العدم..ماذا فعلت بعد ظهر اليوم !؟

أجفل هاشم بعض الشيء ، بينما واصل حازم صبري:

-لقد وضعت جماهير المصلين على حافة النار ،ثم قلت لهم-بعدها- :حذار أن تلقوا بأنفسكم فيها !

ابتسم هاشم وهو يتخلل لحيته من وراء الكوفية وقال:

-لأنه ليس من المعقول أن ندفعهم إلى الاحتراق ..لم يأن الأوان بعد..

تساءل حازم بنفاد صبر :

-متى إذا؟ لقد بلغت أعصاب الناس في توترها الذروة ،وليس ثمة من منزع ..

أراد هاشم أن يغير الموضوع ، فضرب بكفه على دشبول السيارة المتشقق، وهو يقول :

(١) مقاييس اللغة/٢٠٦

(٢) معاني الأسماء/٦٩

(٣) مقاييس اللغة/٥٠١

(٤) معاني الأسماء/١٤٥

(٥) المصدر نفسه/١٤٧

-ألا تستطيع أن تعثر لي على سيارة مثل هذه ، او أسوأ منها قليلا ، شرط أن يقبل صاحبها بتأجيل الدفع ؟

-ولم ؟ ان سيارتي هذه وصاحبها تحت أمرك !

-شكرا شكرا ، وإنما انا بحاجة إليها لعشرات من التنقلات اليومية .. إن انتظار الباص ، او المشي على الأقدام ، يستنزف منا وقتا طويلا ..^(١)

ج - عبد الله الجزار: اسم علم مركب من عبد ولفظ الجلالة وعبد مأخوذ (عبد) يدل على لين وذل. و"أصل العبودية الخضوع والتذلل والطريق المعبد المسلك المذل"^(٢) ثم أطلق لفظ العبد لمن خضع وتذلل لأوامر الله وانتهى عما نهى عنه لذلك قيل: عبد الله يعبده عبادة ومعبدا ومعبدة: تأله له ورجل عابد والتعبد التمسك والعبادة الطاعة وتعبد الله العبد بالطاعة أي استعبده^(٣) الله:معناه الإله وهو اكبر الأسماء واجمعها للمعاني والأشبه انه كأسماء الأعلام موضوع غير مشتق ومعناه القديم التام القدرة ، فانه إذا كان سابقا لعامة الموجودات كان وجودها به وإذا كان تام القدرة اوجد المعدوم وصرف ما يوجد على ما يريد فاختص لذلك باسم الإله ولهذا لا يجوز أن يسمى بهذا الاسم احد سواه بوجه من الوجوه وهو المستحق للعبادة^(٤) . والجزار كما قال ابن فارس أصل يدل على قطع الشيء ذي القوى الكثيرة الضعيفة^(٥) فالاسم الأول المقصود منه التعريض بحامله ان يكون عبدا لله خاضعا وذليلا وعابدا له وحده وليس عبدا للمبادئ والأفكار الأرضية الإلحادية التي تنافي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والثاني (الجزار) واضح المعنى لغة واصطلاحا لكن إطلاقه على شخصية كانت تشغل منصب مسؤول التنظيم الشيعي في الموصل إبان الثورة ورئيس المحكمة التي شكلت لمحاكمة ثوار الموصل الذين ثاروا ضد المبادئ الإلحادية وضد الجور والظلم يعني الانتقام والقصاص وإنزال أقصى وأبشع

(١) الإعصار والمئذنة /٤٧-٤٨ .

(٢) لسان العرب /٦: ٤٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الأسماء والصفات ، أبو بكر بن الحسن البيهقي /٨٧-٨٨ .

(٥) مقاييس اللغة /١٥١ .

أنواع التعذيب والتكيل بالمعاضين والمناوئين لاسيما وان انتفاضتهم قد فشلت .لذا كان اختيار هذا الاسم من قبل المؤلف متناسبا جدا مع ما آداه من دور في الرواية.

هـ - عليّ : هو اصغر أولاد هاشم عبد السلام المدلل يظهر في مشهد واحد من مشاهد الرواية حينما يعود أبوه إلى البيت بعد يوم من العناء والتعب والمشقة والعمل من اجل إنجاح الثورة حيث يدخل المنزل وإذا بأطفاله يستقبلونه وهم يتصايحون .. ويقفز عليّ لكي يتسلق كتف والده"هاشم" كما اعتاد دائما^(١) فهذه الحركة المعتادة تتناسب مع اسمه الذي يدل على الارتفاع والعلوّ والعلاء الرفعة والعظمة والشرف والسموّ^(٢) وعليّ وزنه فعيل علم لمذكر ومعناه الرفيع والمرتفع^(٣) و يرمز في الرواية إلى الجيل الذي سيواصل المعركة وصراع الحق ضد الباطل وقوى الشر والضلالة والإلحاد وأنها سترتفع وتعلو وتسمو مهما طال الزمان لان جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة.

أهم النتائج:

أ - يشكل الاسم واختياره ملحظا مهما في العمل الروائي وهي إحدى الركائز و السمات الأساسية المميزة للشخصية في الرواية ،ولما كان لكل إنسان من اسمه نصيب وجب على الروائي الوعي أن يبتعد عن العشوائية والاعتباطية في تسمية شخصياته إذا أراد أن يصنع عملا إبداعيا فذا ،، ولا يمكن عرض صورة الشخصية على طول الرواية دون منحها اسما ذا دلالة فنية يعمل على إثارة جوانب كثيرة في الرواية .

ب - لحظنا منذ الوهلة الأولى لقراءتنا لرواية الإعصار والمثدنة بأن الروائي حين اختار أسماء شخصياته في روايته كان في منتهى الوعي والدقة والإصابة قاصدا وهاذفا توضيح دور كل شخصية من شخصيات الرواية ، مدركا بأن اسم الشخصية يحدد ملامح وطبيعة الشخصية بل موقن بأن الاسم يعرف الشخصية ويختزل صفاتها وسلوكها وكأن واجبا على الشخصية أن تحمل اسما يميزها ويؤطرها ويجمل دورها كلّها في الرواية.

(١) الإعصار والمثدنة/٥٤.

(٢) مقاييس اللغة/٥٩٦.

(٣) معاني الأسماء/١٨٤.

ولأنه مدرك كذلك بأنّ الاسم له أهمية ودورا فاعلا في التخيّل الروائي فضلا عن الوشائج التي يمدّها بين الشخصية ومرجعيتها لتجذير الواقع في العمل الروائي وله دور بارز في تحديد هوية الشخصية والكشف عن دلالاتها.

ج - إنّ عماد الدين خليل قد اختار أسماء بعض الشخصيات من واقع الحياة والأحداث التي أرخت لها الرواية حاملة لدلالات عقديّة فكرية ، واجتماعية ثقافية ، وربما سيكولوجية نفسية، تلازم الشخصيات مدة وجودها داخل النص ، فالمقصدية واضحة وبارزة والهدف إضفاء صورة للقارئ أو المتلقي بأنّ الرواية تنقل لنا السيرة الذاتية لكل شخصية ، و نجح في إعطاء ورسم صورة وتقديم السيرة الذاتية لشخصياته مجملّة من خلال أسمائهم فكانت اختياراته متناسبة ومنسجمة ومتطابقة بحيث تحقق للنص مقرونيته وللشخصية احتماليّتها ووجودها .

د- يرمز عنوان الرواية "الإعصار والمئذنة" إلى الصراع العاتي بين الإيمان والإلحاد . الإيمان الذي تمثله المئذنة، والتي ترمز بدورها وتشير إلى جامع النوري الكبير ذي المنارة الحدباء الشاهقة والمصلّى الواسع والفناء المنرامي المنارة المنقردة التي بناها نور الدين محمود قاهر الغزاة الصليبيين ..الموحّد والمحرر..مدّ أسبابها إلى السماء لكي تبرز واضحة للعيان من أي مكان يلقي منه المرء بصره ..لقد ظلّت قائمة ،عبر القرون المتطاولة ،بانسيابها الجميل صوب الأعالي شاهدة على انه ما من احد يقدر على تغيير وجه المدينة الأصيل.. الموصل التي أعلنت انتماءها منذ قرون إلى منارتها العالية ،أخذت منها اسمها،صامدة.. ومتحدية. والإلحاد الذي يمثله الإعصار الشيوعي دوّم فوق مدينة الموصل في محاولة منه لاستئصال إيمانها من الجذور ، والعبرة كما يقول المثل بالنتيجة ..والنتيجة هي ان يتفتّت الإعصار عند حافات المئذنة..وتبقى تؤدي وظيفتها الكبرى في رفع شهادة التوحيد القديرة على أن تزحزح الجبال عن مواضعها، وإذا كانت أحداث الرواية تشير إلى هزيمة الفئة المؤمنة وانتصار الفئة الشيوعية الباغية، ففي هزيمة الفئة المؤمنة واستشهاد بعض قادتها ورجالها حياة ، لأنهم زرعوا بذور الحياة في تربة الموصل الصامدة وعلى الرغم من موت هؤلاء جميعاً وبقاء الدين شامخاً صلباً خالداً إشارة عميقة الدلالة إلى النهاية الحقيقية للرواية. ذهاب الإعصار وخموده وبقاء المئذنة

شامخة يتردد منها نداء التوحيد. وفي انتصار الفئة الشيوعية الباغية موت أو اتجاه نحو السقوط والأفول.

د - وظّف الروائي مجموعة من ألقاب شخصياته لتكون متناسبة ومتلائمة ومتوافقة مع أدوارها التي حملتها على الوجه الحقيقي الصحيح مثل (عتالة، جزار، دباغ).

هـ - استمدّ المؤلف في تسميته لبعض الشخصيات على الواقع التراثي الشعبي في تسميات المجتمع الموصلية كيف لا والرواية تاريخية تنقل جانباً من أحداث وقعت في مدينة الموصل فهي من الروايات الواقعية التاريخية فكان لابد لها أن تستمد وتستلهم من الواقع الفعلي للمدينة (يونس، داوود، جرجيس، حنا)، وسعى المؤلف في اختياره لأسماء شخصياته أن يكون مدى دلالة الاسم على المسمى في اتجاهين أو مذهبين فإما أن يكون الاسم عنوان المسمى حقيقة في سلوكه وآراءه وسمته داخل الرواية مثل (سلمى، هاشم، حازم، ابتسام) ، وإما أن يكون إطلاق التسمية من باب التعريض بها إذا البسها سمناً مختلفاً بل ومتناقضاً عن الأسماء التي حملتها مثل (عبدالله، يونس، سعيد).

Names of characters in Hurricane and Minaret Novel by Emad Al-Din Khalil An analytical linguistic study
Asst.Prof. Dr. Basil Khalaf Hammoud

Abstract

In his nomination of some personalities, the author drew on the popular heritage reality in the nomenclature of the Mosulian society. How not and the historical novel is transmitted aside from events that took place in the city of Mosul, as it is from historical realistic accounts, so it had to be drawn and inspired by the actual reality of the city (Yunus, David, Zarzis, Hanna) In his choice of the names of his characters, he sought to have the extent to which the name denotes the name in two directions or two denominations, so either the name is the title of the title in fact in his behavior, opinions, and character within the novel such as (Salma, Hashem, Hazem, Ibtisam), or that the launch of the name is a matter of exposing it If he wore a different, even contradictory, name that she carried, such as (Abdullah, Younis, Saeed).